الغلاف

داود رمال
aborami20@hotmail.com

الجغرافيا السياسية والعسكرية لقطاع غزة بقعة صغيرة ومجازر كثيرة...

بموجب القانون الدولي لا يزال قطاع غزة تحت الاحتلال الاسرائيلي رغم الانسحاب الاحادي الجانب من القطاع عام 2005، اذ احتفظت اسرائيل بالسيطرة الكاملة على منافذ القطاع البرية والبحرية والجوية. كما تسيطر على السجل السكاني في غزة وشبكات الاتصالات والعديد من الجوانب الاخرى للحياة اليومية والبنى التحتية. وفرضت على السكان شكلا غير مسبوق من اشكال العقاب الجماعي في انتهاك صارخ للقانون الدولي الانساني

قطاع غزة هو المنطقة الجنوبية من السهل الساحلي الفلسطيني على البحر المتوسط على شكل شريط ضيق شمال شرق شبه جزيرة سيناء، وهي احدى منطقتين معزولتين (الاخرى هي الضفة الغربية) داخل حدود فلسطين الانتدابية لم تسيطر عليها القوات الصهيونية في حرب 1948، ولم تصبح ضمن حدود دولة اسرائيل الوليدة انذاك.

يشكل قطاع غزة تقريبا 1,33 في المئة من مساحة فلسطين، وسمي بقطاع غزة نسبة لاكبر مدنه وهي غزة، ويمتد على مساحة 360 كلم مربع حيث يكون طوله 41 كلم، اما عرضه فيتراوح بين 5 و15 كلم. تحد اسرائيل قطاع غزة شمالا وشرقا، بينما تحده مصر من الجنوب الغربي. وهو يشكل جزءا من الاراضي التي تسعى السلطة لانشاء دولة ضمن حدودها عبر التفاوض منذ ما يزيد على 20 عاما في اطار حل الدولتين، ويقطنه حاليا اكثر من مليوني نسمة.

اما على الصعيد السياسي والتاريخي لقطاع غزة، فان العدو الاسرائيلي لم يسيطر على القطاع في العام 1948، واستنادا الى قرار تقسيم فلسطين، وهو الاسم الذي اطلق على قرار الجمعية العامة التابعة لهيئة الامم المتحدة رقم 181 والذي اصدر في 29 تشرين الثاني 1947 بعد التصويت (33 مع، 13 ضد، 10 ممتنع) وتبنى خطة تقسيم فلسطين القاضية بانهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وتقسيم اراضيها الى 3 كيانات جديدة، كالتالي:

دولة عربية: تبلغ مساحتها حوالى 4,300 ميل مربع (11,000 كيلومترا مربعا ما يمثل 42.3% من فلسطين) وتقع على الجليل الغربي، ومدينة عكا، والضفة الغربية، والساحل الجنوبي الممتد من شمال مدينة اسدود وجنوبا حتى رفح، مع جزء من الصحراء على طول الشريط الحدودي مع مصر، اي ان القطاع من ضمن الدولة الفلسطينية.

دولة يهودية: تبلغ مساحتها حوالى 5,700 ميل مربع (15,000 كيلومتر مربع ما يمثل 57.7% من فلسطين) وتقع على السهل الساحلي من حيفا وحتى جنوب تل ابيب، والجليل الشرقي بما في ذلك بحيرة طبريا واصبع الجليل، والنقب بما في ذلك ام الرشراش او ما يعرف بايلات حاليا.

القدس وبيت لحم والاراضي المجاورة، تحت وصاية دولية.

ووافق كل من مصر والعدو الاسرائيلي في اتفاقية الهدنة بينهما، على ان تحتفظ مصر بقطاع غزة، وكان عدد السكان في ذلك الوقت حوالى 300 الف نسمة، واستمر هذا القطاع حتى العام 1967 تحت السيطرة المصرية، وتحت الاحتلال الاسرائيلي حتى العام 1982، وتحول الى الحكم الذاتي في العام 1994 بموجب اتفاقية اوسلو بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، وتم اخلاء المستوطنين من داخل قطاع غزة.

هذا يعني ان الفلسطينيين الغزاويين يعانون من وضع مأساوي منذ العام 1948، اي منذ 75 عاما، ان كان لجهة وجود مستوطنين داخل قطاع غزة ومن ثم في محيطها.

في الاول من تموز 1994 دخل الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات قطاع غزة، وبدأ الفلسطينيون يسيطرون بالتدريج على المناطق التي يقطنونها في القطاع، مع بقاء مستوطنات الاحتلال التي كانت مقامة على اراضي القطاع. وبعد نحو 10 اعوام، طرح رئيس الحكومة الاسرائيلية انذاك اريل شارون خطة الانفصال عن قطاع غزة في 2 شباط 2004، وتشمل اخلاء المستوطنات فيها والانسحاب بشكل كامل من اراضي القطاع، واقر الكنيست الخطة بعد عام تقريبا.

تم تطبيق الخطة وخرجت قوات الاحتلال من قطاع غزة وتم اخلاء المستوطنات وانتهى الوجود الاستيطاني الاسرائيلي في قطاع غزة في 12 ايلول 2005، واعلنت الحكومة الاسرائيلية انهاء الحكم العسكري في قطاع غزة.

ازيلت جميع المستوطنات وتعدادها 25 مستوطنة، والتي عرفت فيما بعد باسم "المحررات" وانتهت عملية الانسحاب وتفكيك المستوطنات واخلاء المستوطنين البالغ عددهم 8500 مستوطن في 12 ايلول 2005.

في العام 2006 تصاعد النزاع الداخلي بين حركة حماس والسلطة الفلسطينية ممثلة بحركة فتح في القطاع، واندلعت الاشتباكات المسلحة بين الجانبين لتنتهي بسيطرة حركة حماس على قطاع غزة، بعد سقوط عشرات الضحايا، ردا على ذلك اعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس حل الحكومة الفلسطينية برئاسة اسماعيل هنية من حركة حماس وتعيين حكومة طارئة برئاسة سلام فياض، الا ان حماس رفضت القرار واصرت على شرعية حكومة اسماعيل هنية، والتي بقيت تحكم في غزة مكرسة الانقسام الفلسطيني.

وعقب الانسحاب الاسرائيلي من قطاع غزة، انشأ الاحتلال منطقة عازلة على طول الحدود البرية، وبقيت عشرات المستوطنات القريبة من القطاع التي يطلق عليها الان غلاف غزة، ويبلغ عددها نحو 50 مستوطنة، وتقع في مساحة تبلغ نحو 40 كيلومترا في محيط القطاع. وارتفع عدد المستوطنين في غلاف غزة من نحو 42 الفا عام 2009 الى حوالى 55 الفا عام 2019، بزيادة قدرها 30.6 في المئة.

ويتكون هذا الغلاف من ثلاثة مجالس اقليمية تابعة للحكومة الاسرائيلية، هي:

1- "مجلس اشكول" ويمتد على مساحة 380 كيلومترا مربعا، ويسكنه اكثر من 13 الف مستوطن، يعيشون في 32 مستوطنة.

2- "مجلس اشكلون" ويقع على 175 كيلومترا مربعا، ويعيش فيه حوالى 17 الف اسرائيلي في 4 مستوطنات.

3- "مجلس شاعر هنيغف" ويمتد على مساحة 180 كيلومترا مربعا، وفيه 11 مستوطنة، يعيش فيها اكثر من 7 الاف مستوطن.

وابرز هذه المستوطنات كيسوفيم وزيكيم ونحال عوز وكريات ملاخي وكريات غات، اضافة الى مدن ديمونا وعسقلان واسدود وسديروت.

بدأت اولى الهجمات الكبرى في 27 كانون الاول 2008 وسميت عملية "الرصاص المصبوب" واستمرت 21 يوما، وانتهت في 18 كانون الثاني 2009. وعلى مدار الاسابيع الثلاثة، اسقطت قوات الاحتلال الاسرائيلية حوالى مليون كيلوغرام من المتفجرات على القطاع، مما تسبب باستشهاد 1،436 فلسطيني واصابة حوالى 5،400 آخرين بينهم عدد كبير من النساء والاطفال، وتدمير نحو 4100 منزل وتضرر 17500 منزل آخر.

والهجوم الثاني سمي عملية "عمود السحاب" بدأ في 14 تشرين الثاني 2012 ، واستمر ثمانية ايام حتى 21 تشرين الثاني 2012، واسفر عن استشهاد 162 فلسطينيا، واصابة ما يقرب من 1300، وتدمير 200 منزل بشكل كلي، 1500 منزل آخر بشكل جزئي.

الهجوم الثالث سمي عملية "الجرف الصامد" وهو الاطول والاكثر فتكا على غزة بدا في 8 تموز 2014، واستمر 51 يوما، وانتهى في 26 آب 2014. وثق فريق المرصد الاورومتوسطي 60،664 هجوما بريا وجويا وبحريا اسرائيليا اسفر عن استشهاد 2147 فلسطينيا (قتلت اسر باكملها في بعض الحالات) وجرح 10870 آخرين. وتضرر 17123 منزلا، منها 2465 دمر بشكل كلي.

والهجوم الرابع سمي عملية "حارس الاسوار" بدأت في 10 ايار 2021 واستمرت لمدة 11 يوما، لتنتهي في 21 ايار. تميز هذا الهجوم بتركيز جيش العدو الاسرائيلي هجماته الجوية والمدفعية على البنية التحتية في قطاع غزة، ولا سيما الشوارع وابار المياه والمرافق العامة، الى جانب المقدرات الاقتصادية والانتاجية، ما سبب خسائر فادحة في هذه القطاعات. واسفر الهجوم عن استشهاد 254 فلسطينيا، بينهم 66 طفلا و39 امراة و17 مسنا، اضافة الى اصابة نحو 1,948 اخرين بجروح مختلفة.

بالنظر الى المسلسل الدموي من الاجرام الاسرائيلي، نعرف مدى الغضب الذي يعتمر في نفوس الاجيال الفلسطينية، ومعه تصبح عملية قراءة النتائج اكثر صحة ودقة، ونعرف اكثر لماذا كانت عملية "طوفان الاقصى".

تعمل الحكومة الاسرائيلية على تقديم مغريات كبيرة لسكان المستوطنات في غلاف غزة من اجل جذبهم الى السكن فيها والبقاء كحاجز جغرافي وديموغرافي بين قطاع غزة والضفة الغربية، مما يمنع مستقبلا قيام دولة فلسطينية متصلة الاطراف، كما انها تهدف من وجوده الى تطويق القطاع وتقييد حرية فصائل المقاومة في الوصول الى اهداف اكثر عمقا.

معظم سكان هذه المستوطنات من اليهود الشرقيين الذين ينظر اليهم داخل المجتمع الاسرائيلي بعنصرية، اذ تعمل حكومة الاحتلال على نقلهم الى هناك لتجنب المشاكل المجتمعية.

وتشكل هذه المستوطنات في نظر المقاومة الفلسطينية الخاصرة الرخوة للاحتلال، وكانت منذ الانسحاب الاسرائيلي من غزة هدفا سهلا لصواريخ الفصائل التي كان لا يتعدى مداها كيلومترات معدودة، قبل ان تطور ترسانتها الصاروخية لتصبح ابعد مدى واقوى تأثيرا.

في خلال الـ 15سنة الماضية، شنت قوات الاحتلال الاسرائيلية 4 هجمات رئيسية على قطاع غزة: في 2008 - 2009 و2012 و2014. ووقعت هجمات جوية وبرية متفرقة بينهما.